

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الإيمان قولٌ
يصدقُه العمل

لَمَّا خُتِمَتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ بِالْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ
ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ مَبِيتَةً إِيمَانَهُمْ وَإِكْرَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ
بِزِيَادَةِ الْهُدَى: أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾؛
لِبَيَانِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِمَجْرَدِ التَّصَدِيقِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، بَلْ أَتْبَعُوهُمَا
بِإِعْلَانِهِمْ ذَلِكَ الْإِيمَانَ فِي قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي
الإعلان ومواجهة الكافرين، وكل ذلك بفضل الله تعالى ومُنَّتِهِ.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَرَبَطْنَا﴾: (ربط) أصلٌ يدلُّ عَلَى شَدِّ وَثَبَاتٍ، مِنْ ذَلِكَ رَبَطْتُ
الشَّيْءَ أَرْبَطُهُ رَبَطًا، وَالَّذِي يُشَدُّ بِهِ رِبَاطٌ⁽¹⁾، وَفُلَانٌ رَابِطُ الْجَاشِ؛
إِذَا قَوِيَ قَلْبُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى نَحْوِ
قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 4]، وَقَوْلُهُ:
﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]⁽²⁾، وَالرِّبَاطُ: الْفُؤَادُ كَأَنَّ الْجِسْمَ رُبِطَ
بِهِ، وَرَجُلٌ رَابِطُ الْجَاشِ وَرَبِيطُ الْجَاشِ، أَي: شَدِيدُ الْقَلْبِ كَأَنَّهُ يَرْبُطُ
نَفْسَهُ عَنِ الْفِرَارِ يَكْفُهَا بِجُرْأَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَرَبَطَ جَاشُهُ: اشْتَدَّ قَلْبُهُ
وَوُثِّقَ، وَحَزَمَ، فَلَمْ يَفِرَّ عِنْدَ الرَّوْعِ، وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ، أَي:
أَلْهَمَهُ الصَّبَرَ وَشَدَّهُ وَقَوَّاهُ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ تَقْوِيَةُ الْقُلُوبِ بِالصَّبْرِ
عَلَى الْمَجَاهِدَةِ وَالثَّبَاتِ⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربط).

(2) الرَّاغِب، المفردات: (ربط).

(3) ابن منظور، اللسان: (ربط).

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 9/7.

(2) ﴿شَطَطًا﴾: (شَطَّ) أصلٌ يدلُّ على البُعْدِ، والمَيْلِ⁽¹⁾، والشَّطَاطُ: البُعْدُ، شَطَّتْ دَارُهُ تَشُطُّ شَطًّا وشُطُوطًا: بَعُدَتْ، وَكُلُّ بَعِيدٍ شَاطٌ، والشَّطَطُ: مُجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي بَيْعٍ، أَوْ طَلَبٍ، أَوْ احْتِكَامٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ⁽²⁾، وهو الإفراط في البعد، وعَبَّرَ بِالشَّطَطِ عَنِ الْجَوْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾، أَي: قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ، وَشَطَّ النَّهْرُ حَيْثُ يَبْعَدُ عَنِ الْمَاءِ مِنْ حَاقَّتِهِ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الْإِفْرَاطُ فِي الْكُفْرَانِ، وَذَلِكَ بِنِسْبَةِ الْأَلُوْهِيَّةِ لَغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁴⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُتِمُّ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ بَأَنَّا قَدْ قَوَّيْنَا قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَأَلْهَمْنَاهُمْ الصَّبْرَ، وَشَدَدْنَا عَزِيمَتَهُمْ، حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْكَافِرِ، وَهُوَ يُلُوْمُهُمْ عَلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَقَالُوا لَهُ: رَبَّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهًا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَإِنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَهُوَ خَلْقُهُ، وَلَنْ نَدْعُو إِلَهًا غَيْرَ إِلَهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا مِنْ الْقَوْلِ، مُجَاوِزًا مَقْدَارَهُ فِي الْبَاطِلِ وَالْغُلُوِّ⁽⁵⁾.

يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دَلَالَةُ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَبَطْنَا﴾:

الْجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ معطوفةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿عَامِنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾⁽⁶⁾، فَلَمَّا أَخْبَرَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ، وَأَنَّهُ زَادَهُمْ هُدًى؛ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ

الرَّبِّطُ عَلَى
الْقُلُوبِ فَضْلًا
مِنْ رَبِّهِمُ الَّذِي
زَادَهُمْ هُدًى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شَطَّ).

(2) ابن منظور، اللسان: (شَطَط).

(3) الزَّائِبُ، الْفَرْدَات: (شَطَط).

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 274 / 15.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 615 / 17.

(6) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 150 / 8.

تقوية القلوب والرَّبط عليها، أي: "قَوَّيْنَاهَا بالصَّبْر على هجران الأوطان والفرار بالدِّين إلى بعض الغيران، وجَسَّرْنَاهُمْ على القيام بكلمة الحقِّ والتظاهر بالإسلام"⁽¹⁾.

دلالة فعل (الرَّبط) ماضياً مُسنِداً إلى ضمير العظمة:

أُسْنِدَ فعلُ الرَّبطِ المتحقِّقُ في الزمن الماضي إلى ضمير العظمة والجلال (نا) في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، تفخيماً لشأن منته عليهم بتقوية قلوبهم بالصَّبْر على المجاهدة والثَّبات على الإيمان، لعظيم ما أقبلوا عليه من فعل المواجهة للملك، وهم نَصْرٌ قليل في مُقْتَبِل العمر.

جمال الاستعارة ﴿وَرَبَطْنَا﴾:

استعارَ النَّظْمُ الجليل لفظَ الرَّبطِ في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ للدلالة على تثبيت الإيمان في قلوبهم وعدم التردُّد فيه⁽²⁾؛ لأنَّ الرَّبط هو الشَّدُّ بالحبل، فالاستعارة تصريحيةٌ تبعيةٌ؛ لأنَّها وقعت بالفعل (ربط)، فشَبَّه قلوبهم بوعاءٍ ممتلئٍ إيماناً، وقد ربطَ عليها رباطاً محكماً، يشدُّ عليهم، فلا تضطربُ أمام العوارض⁽³⁾، فهذا الرَّبطُ يحافظ على مكنون قلوبهم، فلا يحصل لهم رعبٌ أو تردُّدٌ واضطراب؛ فلمَّا "كان الفزعُ وخور النَّفس، يُشَبَّه بالتَّناسُب الانحلال؛ حَسَنَ في شدَّة النَّفس وقوَّة التَّصميم أن يُشَبَّه الرَّبطُ"⁽⁴⁾، ومنه: (فلانٌ رابطُ الجأشِ)؛ إذا كانت نفسه لا تتفرَّق عند الفزع والحرب، وقال تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: 10]⁽⁵⁾.

عظيم ما
أقبلوا عليه
من مواجهة
يستدعي نعمة
التَّثبيت

ربطُ القلوب
يحافظ على
مكنونها من
الإيمان واليقين

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 288 / 2.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 272 / 15.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501 / 9.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز: 501 / 3.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 148 / 7.

دلالة حرف الاستعلاء ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ للدلالة على تَمَكُّنِ الرِّبْطِ والإيمان من قلوبهم، وفيه "إشارة إلى أَنَّهُ إِيْمَانٌ قَوِيٌّ لَا تَوَثَّرَ فِيهِ الشُّكُوكُ، وَلَا يَعْرِضُ لَهُ وَهْنٌ، وَلَا يَدْرِكُهُ خَلَلٌ بِوَجْهِ، بَلْ هُمْ مُصَمِّمُونَ عَلَيْهِ، كَمَا تَرَبَّطَ الْحَمَلُ عَلَى الدَّابَّةِ"⁽¹⁾، فدلَّ الاستعلاءُ على تَمَكُّنِ ذَلِكَ الرِّبْطِ، فالإيمانُ ثابت راسخٌ في قلوبهم، فلا تَرَدُّدٌ وَلَا انْفِكَاكٌ عن عقيدتهم مهما عارضهم به المشركون.

تَمَكَّنُ الْإِيْمَانِ
مِنْ قُلُوبِهِمْ
فَلَا انْفِكَاكٌ عَنْ
عَقِيدَةِ الْحَقِّ

سُرْإِيثار لَفِظِ (القلوب) مجموعاً:

اخْتِيَرَ الرِّبْطُ عَلَى الْقُلُوبِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْأَنْفُسِ مَثَلًا؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ كَمَا كَانَ مَوْطِنَ الْهَدَايَةِ ﴿يَهْدِي قَلْبَهُ﴾^[11]؛ فَهُوَ مَوْطِنُ السَّكِينَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالْتَأْيِيدِ بِنُورِ الْإِيْمَانِ.

الْقُلُوبُ مَوَاطِنُ
الْهَدَايَةِ وَالتَّأْيِيدِ

دلالة القيام بين الحقيقة والمجاز:

وَصَفَّ النَّظْمُ الْجَلِيلُ فِعْلَهُمْ بِالْقِيَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾، وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ، فَالْمَعْنَى عَلَى الْحَقِيقَةِ أَنَّهُمْ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْكَافِرِ، غَيْرَ مُبَالِينَ بِهِ، وَهُوَ مَقَامٌ يَحْتَاجُ إِلَى الرِّبْطِ عَلَى الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ خَالَفُوا دِينَ الْمَلِكِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا هَيْبَتَهُ، وَأَمَّا الْمَجَازُ، فَالْقِيَامُ تَعْبِيرٌ عَنْ انْبِعَاثِهِمْ وَعَزْمِهِمْ عَلَى الْهَرُوبِ بِدِينِهِمْ وَمُنَابَذَةِ قَوْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ⁽²⁾، فَهُوَ مُسْتَعَارٌ "لِلْإِقْدَامِ وَالْجَسْرِ عَلَى عَمَلٍ عَظِيمٍ، وَلِلْاهْتِمَامِ بِالْعَمَلِ أَوْ الْقَوْلِ، تَشْبِيهًا لِلْاهْتِمَامِ بِقِيَامِ الشَّخْصِ مِنْ قَعُودٍ لِلْإِقْبَالِ عَلَى عَمَلٍ مَا"⁽³⁾.

النُّهُوضُ إِلَى
الْحَقِّ قِيَامٌ
وَجَسَارَةٌ وَإِقْبَالٌ
عَلَى جَلِيلِ
الْأَعْمَالِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 81/3.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 501/3.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 272/15.

فائدة استعمال الفاء في قوله: ﴿فَقَالُوا﴾:

إِنَّ رَبَّ قِيَامِهِمْ
أَعْلَنُوا إِيْمَانَهُمْ
وَصَدَعُوا
بِعَقِيدَتِهِمْ

آثَرَ النَّظْمِ الْجَلِيلِ العطف بحرف الفاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا﴾ **فَقَالُوا**: لأنَّ القولَ مترتبٌ على قيامهم ومواجهتهم، وأنه وقع ردْفُ قولهم لبيان مبادرتهم بدعوتهم وإعلان إيمانهم، فالفاء يدلُّ على أنَّ قولهم قد وقع مواجهةً، فبعد أن قاموا، ووقفوا، قالوا تلك المقولة لإعلان إيمانهم والصَّدْعَ به، والعطف بالواو لا يقتضي التَّرتيبَ، فتكون المواجهة غيرَ مؤكَّدة، فلمَّا جاء العطف بالفاء؛ دلَّ ذلك على أنَّ القول وقع بعد ذلك من غير مهلة؛ دلالة على قوَّة إيمانهم، وشدَّة يقينهم بقضيتهم؛ إذ سارعوا إلى التصريح بألوهيته تعالى، وربوبيته، وتوحيدهم له ﷻ.

نكتة تعريف (الرب) بالإضافة:

مِنْ حُسْنِ
الْحَدِيثِ تَعْيِينِ
الْمُتَحَدِّثِ عَنْهُ بِمَا
لَا يَقْبَلُ الْاِخْتِلَافَ

عَرَّفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْمُسْنَدَ إِلَيْهِ، وهو لفظُ (الرَّبِّ) بإضافته إلى ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعريفًا لله تعالى أمام قومهم بالإضافة إليهم؛ وذلك لأنَّ الفتية قد عُرِفُوا مِنْ قَبْلُ بأنَّهم عبدوا الله، أو أنَّ قومهم لم يكن لديهم معرفةٌ باسم علم لله تعالى، فكان تعريفهم بالله تعالى عن طريق الإضافة لذلك⁽¹⁾، أي: "رَبُّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بحيث يدخل تحت ربوبيته كلُّ معبود سواه"⁽²⁾.

فائدة الإخبار عن المسند إليه بـ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

إِزَالَةُ جَهْلِ
الْغَافِلِينَ عَنْ
إِلَهِ الْحَقِّ
بِتَعْرِيفِهِ بِمَلِكِهِ
الَّذِي لَا يَنْكَرُونَهُ

أخْبَرَ بَلِيغُ النَّظْمِ عَنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿رَبُّنَا﴾ بقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ للإخبار بهذه الحقيقة وتعريفًا لقومهم بالله تعالى، مما أنَّ فيه إشارةً إلى إبطال كلِّ إله سواه، فرَبُّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ هو رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فيدخل تحت ربوبيته كلُّ شيءٍ وحتى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 272 - 273.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 10 / 7.

آلهة قومهم التي عبدوها من دون الله تعالى⁽¹⁾، فلا شيء يخرج عن السموات والأرض، فإذا كان الله تعالى هو ربهما؛ فما بقي لآلهتهم المزعومة غير الكذب والشطط والادعاء.

نكتة تقديم ﴿السَّمَوَاتِ﴾ على ﴿وَالْأَرْضِ﴾:

وجه تقديم السموات على الأرض في أغلب مواضع ورودها تقدّم خَلَقَهَا على خَلَقَ الْأَرْضَ⁽²⁾، وتعدُّدها وانفراد الأرض، ولأنّها منشأ أحكامه تعالى، ومصدر قضاياه، ومُنَزَّل أوامره ونواهيهِ وأرزاقه ووعدهِ ووعدِهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَمَا يَرْزُقُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُوَعِدُونَهُ فِي الْعَقْبَى؛ كُلُّهُ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ، وَلأنّها وما فيها من الآثار العلويات أظهرُ دلالةً على القدرة الباهرة، وأبينُ شهادةً على الكبرياء والعظمة⁽³⁾، ومراعاة التقديم في حديث الفتية يومئٍ بدقيق معرفتهم ربّهم، وعظيم قدرته، وبديع خلقه، وإتقان صنعته؛ وذلكم من دلائل رسوخ إيمانهم.

عَلَّةُ فَصْلِ جُمْلَةٍ ﴿لَنْ نَدْعُو﴾:

الجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَٰذَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ استئنافية، فهو استئناف بعد الاحتجاج بأن ربّهم هو ربّ السموات والأرض، والغاية من هذا الاستئناف إظهارُ القصد من ذلك الاحتجاج⁽⁴⁾، ففائدة الاستدلال بكونه هو ربّ السموات والأرض بيانُ صحّة ما هم عليه من التّوحيد، فكان التّصريحُ بنفي عبادة سواه هو المقصود من بيان كونه ربّ كلِّ شيء.

دلالة النفي بـ ﴿لَنْ﴾ دون (لا):

آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرَ بِحَرْفِ النَّفْيِ ﴿لَنْ﴾ دُونَ (لا) فِي قَوْلِهِ

من أمارات
رسوخ إيمان
الفتية معرفتهم
بعظيم قدرة
ربّهم

قصرُ العبادة
عليه سبحانه
هو مقصود
تفرّده بملك
السموات
والأرض

تأكيد الإخلاص
بنفي الإشراك
من معالم
الإيمان

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 10 / 7.

(2) الألوسي، روح المعاني: 78 / 4.

(3) الخلوّتي، روح البيان: 97 / 4.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 273 / 15.

تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ حكاية لنفسيهم المؤكّد المستمرّ للأبد⁽¹⁾، فإنّ النّفي بـ ﴿لَنْ﴾ هو نفي للمستقبل، أي: لن نعبد الآن وفي كلّ زمان غيره إلهاً قطّ، فهذا الحرف يدلّ على أنّهم أكّدوا نفي الألوهية عن كلّ أحدٍ غير الله تعالى نفيّاً مؤكّداً⁽²⁾، فما أحسن ما وحدوا الله تعالى بأنّه ربّهم الموجدُ السمواتِ والأرضِ المتصرف فيها على ما يشاء، بتوكيد هذا التّوحيد بالبراءة من إلهٍ غيره بلفظ النفي المستغرق تأييد الزمان⁽³⁾.

تقديم قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ على ﴿إِلَهِهَا﴾:

أثر النّظم الكريمُ تقديم شبه الجملة على المفعول به في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا﴾ دون أن يقول على أصل ترتيب الجملة: (لن ندعو إلهاً من دونه)؛ فعجّلوا بذكر المستثنى من النّفي - وهو الله تعالى المضمّن في عبارة: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ على المنفيّ، وهو قوله: ﴿إِلَهِهَا﴾ تشريعاً لذكر إلههم، فاستثنوا من النّفي إلههم الحقّ بتقديم ذكره؛ تعجّلاً لإثبات أحقيّته بالعبادة على سبيل التّوحيد والانفراد.

إيثار لفظ ﴿إِلَهِهَا﴾ على قوله: (ربّاً):

أثر النّظم الكريمُ التّعبير بلفظ الإله دون الرّبّ في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا﴾؛ لأنّ الدّعاء يكون للإله المعبود، ولو أُريدَ بالدّعاء هنا العبادة؛ فإنّ المعنى واحد، فالعبادة تتعلّق بالألوهيّة لا بالرّبوبيّة، فكان التّعبير بالإله مراعاةً لما ذُكر في السّياق، والعدول عن أن يقول: ربّاً، كما قال في صدر الجملة: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا﴾؛ "للتّصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمّون أصنامهم آلهةً ولإشعار بأنّ مدار العبادة وصفٌ

تعجيل ذكر
المعبود بعد
النّفي يفصح
عن توحّيده
بالعبادة

الدّعاء والعبادة
تتعلّق بالإنّبيّة
لا بالرّبوبيّة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 210/5.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501/9.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 149/7.

الألوهية وللايذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية لا بطريق المالكية المجازية⁽¹⁾.

سرّ فصل جملة: ﴿لَقَدْ قُلْنَا﴾ عما قبلها:

فصل النظم الجليل الجملة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾؛ لأنها استثنائية، والاستثناء فيها بياني، تبييناً لما أفاده توكيد نفي عبادتهم غير الله تعالى⁽²⁾، كأنه قيل: (ولم أنتم لا تعبدون غير الله، وما وجه الخطأ بالشرك؟) فأجابوا بذلك.

دلالة التعبير باللام و(قد):

عبر النظم الجليل باللام و(قد) في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾؛ للدلالة على التأكيد والتحقيق، فاللام موطنة للقسم تدل على تأكيد مضمون الجملة، و(قد) تدل على التحقيق⁽³⁾، فيكون الكذب والبعد عن الحق مؤكداً محققاً، وهذا يدل على قوة علمهم ويقينهم بما اعتقدوا؛ إذ راحوا يؤكدون أن الشرك بعد عن الحق وضلال عن الصواب.

فائدة قوله: ﴿إِذَا﴾، وتقديمه على المعلوم:

عبر النظم الجليل بحرف الجواب ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾؛ للإشارة إلى أنها متفرعة عن الجملة التي قبلها، وهي قوله جل شأنه: ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾⁽⁴⁾، وذلك لبيان أنهم إذا بدا منهم الإشراف على سبيل الافتراض؛ فإنهم ينسبون لأنفسهم عند ذلك الشطط والجور عن الحق، وهذا مبالغة منهم في تأكيد نفي عبادتهم غير الله تعالى، "أي: لن نعبد غيره إلهاً قط، فلا نقر بالعبودية لغيره، ويفرضون أنه

رفض الشرك
صادر عن دراية
ومعرفة بالحق

الشرك كذب
وضلال مؤكد
محقق

مبالغة منهم
في تأكيد نفي
عبادتهم غير
الله تعالى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 210 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 273 / 15.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501 / 9.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 273 / 15.

وقع منهم ذلك، فيقولون مؤكّدين بما يشبه القسم: ﴿لَقَدْ فُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾⁽¹⁾.

دلالة لفظ ﴿شَطَطًا﴾ وبلاغته:

لا بُعْدَ عَنِ الْحَقِّ
كَبُْعْدِ الْمَشْرِكِ
وضلاله

عبّر النظم الجليل بلفظ الشَّطَطِ في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا نَهَا لَقَدْ فُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾؛ للدلالة على إفراط الشُّرك في البُعد عن الحقِّ ومجانبته للعدل والصَّواب، والشَّطَط مصدر جيء به للوصف مبالغة في الصِّفة، أي: هو نفس الشَّطَط لقصد المبالغة⁽²⁾، فالقول الشَّطَط هو عبادة غير الله تعالى، لا شطَطَ غيره.

❁ الفرق المُعْجَمِيَّة:

الرَّبْطُ وَالتَّثْبِيتُ:

الرَّبْطُ تَقْوِيَّةٌ
لِلطَّالِبِ،
والتَّثْبِيتُ تَقْوِيَّةٌ
لِلْمَطْلُوبِ

الرَّبْطُ من (ربط)، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ وَثَبَاتٍ⁽³⁾، فالرَّبْط يدلُّ على الجرأة والشَّجاعة، وأمَّا التَّثْبِيتُ؛ فمن (ثبت) أصلٌ يدلُّ على دَوَامِ الشَّيْءِ⁽⁴⁾، والثَّبَاتُ ضِدُّ الزَّوَالِ، يُقَالُ: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتًا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: 45]، وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: 27]، أي: يُقْوِيهِم بِالْحُجَجِ الْقَوِيَّةِ⁽⁵⁾، فالمراد من التثبیت هو عدم الزَّوَالِ بعارض يردُّ، والمراد من الرَّبْط الشَّدُّ على القلب ليوافقه الشَّدائد الآتية، فالرَّبْط للمواجهة والهجوم، والتَّثْبِيت تسكينٌ للدِّفاع طلبًا لعدم الزَّوَالِ، فكان الرَّبْطُ على قلوب الفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ أَنْسَبَ لمواجهتهم قومهم وإعلانهم الإيمانَ بربِّ العالمين.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501/9.

(2) القَتَوَجِي، فتح البيان: 19/8.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربط).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثبت).

(5) الرَّاغِب، المفردات: (ثبت).

الشَّطَطُ والجور والظُّلم والبغي:

الجور خلاف الاستقامة في الحكم، وهو العُدُولُ عَنِ الْحَقِّ، ونقيضه العدل، وهو العُدُولُ بِالْفِعْلِ إِلَى الْحَقِّ، وَالظُّلْمُ ضَرَرٌ لَا يُسْتَحَقُّ، وَلَا يَعْقِبُ عِوَضًا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ نَقْصَانُ الْحَقِّ، ونقيضه الإنصاف وهو إعطاء الحق على التمام، وَأَمَّا الْبَغْيُ؛ فهو شِدَّةُ الطَّلَبِ لِمَا لَيْسَ بِحَقٍّ بِالتَّغْلِيْبِ⁽¹⁾، وَالشَّطَطُ مِنْ (شَطَّ)، وَأَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى الْبُعْدِ، وَالْمَيْلِ⁽²⁾، وَالشَّطَطُ: مُجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي بَيْعٍ، أَوْ طَلَبٍ، أَوْ احْتِكَامٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ⁽³⁾، وهو الإفراط في البعد، وعبر بالشَّطَطِ عَنِ الْجَوْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ فُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾، أَي: قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ⁽⁴⁾، وَفِي الْآيَةِ عَبَّرَ بِالشَّطَطِ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ صِفَةً لِلْقَوْلِ، فَدَعَاءٌ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بُعْدٌ عَنِ الْحَقِّ، وَإِفْرَاطٌ فِي الْكُفْرَانِ، وَذَلِكَ بِنِسْبَةِ الْأَلُوْهِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁵⁾.

تتقارب دلالات
هذه المفردات،
ولكل منها ما
يميزه من الآخر

(1) العسكري، الفروق: 231 - 232.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شَطَّ).

(3) ابن منظور، اللسان: (شطط).

(4) الزاغبي، المفردات: (شطط).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 274.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»